القصص

من اسخيلوس

محاكمة أورست

أو

ربات العذاب

(الدرامة الثالثة من الأورستية)

The Eumenides (١)

أول كوميدية إلهية مسرحية عرفها التاريخ

للأستاذ دريني خشبه

خلاصة الدرامتين الأولين

« ذهب أجممنون ملك آرجوس لفتح طروادة ولكن الريح العاصف حالت دون قيام الأسطول فضحى بابنته أفجينا ليهدأ ثائر البحر وأغضب بذلك زوجه كليتمنسترا التي انتهزت فرصة غيابه واتصلت بألد أعدائه إيجستوس اتصالا شائنا وغت ولدها أورست حتى لا يكر عليها صلو قرابها — ويعود أجممنون بعد عشر سنوات فتقتله زوجته وعاشقها... وتمضي عشر سنوات أخرى فيكون أورست قد شب واشتد عوده فيعود لينأر لأبيه من أمه ، فيأتي أخته عند قبر والده تصب عليه خمراً مرسلة من الملكة بسبب رؤيا مفزعة خلاصتها أنها رأت نفسها تلد أفعى وتضمها الى صدرها فتلفت فيه ثعبا ويتعارف الأخ الى أخته ويتفقان على الخطة ويطرق أورست باب القصر الملكي متنكراً فتلقاه الملكة ولا تعرفه مع أنه أبنها فيدعي أنه قادم من لدن الأمير الذي كانت قد تنت ولدها عنده وأن ولدها قد مات . . . ! وهكذا تجوز الحيلة على الملكة فترسل في طلب ايجستوس ليأتي اليه الخبر ولكن أورست يلقاه منفرداً ويقتله ، فلما تجيء الملكة وتشهد مقتل حبيبها تعرف كل شيء وتعرف أنت القاتل ولدها لا غيره ... ثم ينقض أورست على أمه فيقتلها بعد جدل طويل

ولكن أورست يكون قد ارتكب أكبر جريمة تعاقب عليها الآلهة وهي قتل الوالدين فتشتمل له هامة أمه وتفزعه وتروعه حتى يجن جنونه فينطلق الى معبد أبوللو يتوسل اليه أن يحميه لأنه هو الذي أمره بانفاذ هذه الجريمة ... ومن هنا تبدأ الدرامة الثالثة »

(١) أو Furies وهن اخوات ثلاث منهن واحدة اسمها ديرينه والأخريان ايرنيس ويعرف بهذه الأسماء كذلك (الكتو — تيسيفونه — ماجيارا) وهن موكلات بتعذيب الأرواح الشريرة الآثمة وايصالها الى جهنم فايجستوس اذن يقبض بالجم وتكون هنا خورس الرواية — ويشهن الفول صوم في الميثولوجيا المصرية

(١) Adyton وبالافرنجية Adytum

— ١ —

المنظر : « في الأديتون [١] — صومعة أبوللو — في دلفي »

نحن في الأديتون . . . في مثوى أبوللو الخاص ؟ . . وقد قامت بيثونة الآلهة الكبير ، سيد الشمس ، ورب القوس ، وصاحب السهام الذهبية . . . تصلي الأرض المباركة ، ولابنتها ذميس ، ولاحدى بنات التيتان . . . فوبيه . . . التي تشبه باسمها فوبوس . . . الذي هو أبوللو . . .

والبيثونة ، كاهنة أبوللو ، ذات لسان رطب ، وهي لا تكل من أن تستطيل صلاتها ، فتذكر ميزفا وما روى الناس من أساطير عن ميزفا . . . و . . . تنتهي بعد لأي صلواتها . . .

وندخل معها إلى مثوى أبوللو ؛ ولكنا نخرج مذعورين وجلين ، كما تخرج هي وجلة مذعورة ... لأننا نرى أورست المسكين راكعاً بين يدي تمثال الآلهة يبكي ... ويصلي ... ويضرع إلى أبوللو أن يحميه من ربات العذاب... الزبانيات الضاريات ... اللائي رحن يطاردنه في كل حدب ، ويأخذن عليه سبيله في كل صوب ... ويودّ من لو تمكنّ منه فمزأن لحمه ، وحطمن عظامه ، ثم دفنه في حميم فليجتون ، بما قتل أمه وأغضب الآلهة

وتذعر البيثونة لأنها ترى إلى إحدى يدي أورست ملطخة بالدم الذي سفحه ، وترى إلى يده الأخرى تحمل غصناً غضاً نضيرا . . . هو غصن الزيتون ؟ ! وكيف يجتمع الدم السفوك ، وغصن الزيتون ؟

مسكين أورست ! لقد ركع بين يدي التمثال يصلي ويبكي ، ومن حوله الزبانيات الضواري يتربصن به ... هؤلاء الحرجون السفاحات ... اللائي تنحوى الأفاعي في رؤوسهن ، وينفثن السم في أنيابهن ، ويضطرب الموت الأسود في أظفارهن ! !

ويسقط فى يد البشونة ، ولكنها تدعو لمولاها أبوللو أن يحمى بيته من هؤلاء المتمردات

— ٢ —

وينفتح باب الصومعة على مصراعيه ، فترى أبوللو نفسه ، وترى أورست المذنب مايبرح يبكى ويصلى ، وترى الى الجرجون من حوله يكدن يبطشن به ، ولكن أبوللو يكلمه ويحتفى به ويذهب عنه الروع الذى يضنيه

— « ليفرخ روعك يا أورست فأنا ربك وحارسك وسأظل آخر الدهر معك ... قريباً منك أو بعيداً عنك ... ترانى أو لا ترانى ... دائماً معك ... دائماً ... وسأكون أعدى أعداء من عاداك ... حتى ولو كان من أعدائك هؤلاء الجرجون اللائى ترى ... فانه لن يصل اليك منهن ضر ، ولن يصيبك منهن أذى ... فانى قد ألقيت عليهن غفوة ، وأسكرت مقلهن بخمرة الكرى ، فهن فى سبات عميق حتى تكون بنجوة منهن ... الشريرات عدوات الآلهة والناس أجمعين ... »

وبهدأ أورست قليلا ، لأنه ينظر فيرى إلى الجرجون ساكنات نائمات كما أخبر الآله ، ويصل أبوللو حديثه فيقول : « ... وليس عليك إلا أن تنطلق من فورك هذا فلا تلوى على شىء حتى تكون فى معبد ميزرفا فاسجد تحت قدميها سجدة تستجمع فيها نفسك وقلبك وآمالك . ثم تبثها شكواك وتتوسل إليها أن تأذن فتحكم بينك وبين الربانيات ، ربات الدهر ، هذه الجرجون ! ولا تخش عقدة فى لسانك فسأكون إلى جانبك ، وسأنانع عنك وأشد أزرك ، ولن يؤودنى أن أضع عنك هذا الوزر الذى يثقلك ، مادمت أنا الذى أمرتك أن تقتل أمك الفاسقة ... وستنطلق الجرجون فى إثرك ، فاذا أدركتك فلا يروعنك أن يأخذنك فيلببنك تلبيبا ، ثم لا يروعنك أن يتوائبن بك فوق الآكام ويسحبنك فوق النؤى ويطوحن بك فوق البحر اللجى ... فانك واصل بأذنى ، وعلى عينى إلى حيث ألقاك فى معبد ميزرفا »

فيكفكف أورست عبرته ويقول : « تباركت ياسيد الشمس وتقدست أسماؤك ، ولاغفلت عينك الساهرة عن عبدك المنيب ... ولا زلت تدركنى برحمتك يا أرحم الراحمين ! »

فيجيبه أبوللو : « ولا زلت أوصيك بالتجمل والصبر ،

فلا تقذف بالروع فى قلبك ، ولا تدع الذعر إلى روحك سبيلا وسأرصى بك أخى هرمز ، حامل الأرواح إلى ظلال هيدز يمهد لك ، ويوطئ سبيلك حتى تكون فى مستوجعك »

ثم يرف أبوللو فيكون فى السماء ... ويخرج أورست

— ٣ —

وتنعقد سحابة فى جو الصومعة ، ثم تنكشف عن شبح قاتم سادر ، هو شبح كليتمنسترا . وكأن نوم الجورجون يشدهه فيقول :

— « ياهياه ! يا هياه ! هَيا ! هَيا ! جورجون ! غطيط تنامين وأذرع الظلمات مفضوحة عن قتلى ! انهضن يارببات إنهم يصرخون فى وجهى : مجرمة ! آثمة ! أنا ؟ أنا مجرم وقد قتلنى ابنى الذى حملته وغذوته ؟ ... ما شغلكن إذن ! نمتن عن هذا الوزر ؟ ألم أكن أقرب لكن القرابين وأضحى الأضحيات من خمر كلما غَوْل فى دجنة الليل ؟ ! أفهكذا تضم إضحياتى عندكن وبنجو قاتلى دون أن تمسكن به ؟ انهضن انهضن لحسبكن ما ألم بكن من كرى ! انهضن فقد لاذ بالفرار قاتلى غير مبالٍ بكن ؟ أنا كليتمنسترا ؟ أهتف بكن يارباه الظلمات ! أنا ... القتيلة التى يسبح ظلها فى مملكة الأحلام !

— « خيخ ! ... خيخ ... ! خيخ ... ! خيخ ... ! »

— « خيخ ؟ ... ماهذا الفخيخ[1] يا ربات ؟ إنه يضطرم فى حلوقكن فيكون شخيرا ، ثم يرتد فى أنوفكن فيكون نخيراً هَيا ! لقد أفلت قاتلى ! ولدى ! لقد كلأته قدرة سماوية بينما أنا مهجورة هنا ! »

— « غيط ... خيخ ... ! . . غيـ ... »

— « غيط ! ماهذا الغطيط وقد انفلت قاتلى ! ما أنتن هنا أورست ابنى .. أطلق ساقيه للريح يا ربات ، فمن غيركن يأخذ بقتلتى ؟ »

— « أو ... ه ... »

— « أوه ؟ هَيا ! البدارَ البدار ! يا للضنى ! »

— « أو ... ه . . »

— « حتى النوم والتعب يشدان أزر المتآمرين ! »

— « خـ . . . خ . . . (وتستيقظ الجورجون) أمسكن

(١) صوت النائم

بكن ! من هنا ! من هناك ! حذار ! »

— « آى ! أنتن تتصيدن المجرم فى شبكة من أحلامكن ! وما نحن متتائبات ! يا للعار ؟ انهضن يا ربات ولا تستسلمن لهذا ول ! بحسب قلوبكن وخزة من ضمير حى لو يستيقظ ! هيا يا ! أفصصن أره ! ولينزع شواه زفير من جحيم أنفاسكن ا هيا ! ! »

(ويغيب الشبح)

— ٤ —

وتنهض الجورجون فيروعهن ألا تجدن أورست وقد طاردنه وبلا ، وكن يبطشن به لولا احتماؤه بصومعة أبوللو ... يبرمن ويتسخطن ... ويشتد غضبهن على أبوللو نفسه ، لأنهن لمحن إلى أنه هو الذى ألقى عليهن هذا النعاس الذى صرفهن عن واجبهن ... « غير مبال أن تخرق قانون الآلهة ، ولا مبال أن يتلطخ وحيدك بالاثم والدم ، كأنك تتحدى ربات القادر[1] ... ولكن هيهات ! هيهات أن تستطيع حماية هذا الآثم الذى يلوذ بك ... فانك ستشهده بعينيك يتلظى فى حر جهنم ... وستضاعف حماتك العمياء له عذابه ... ... »

وما يكدن يفرغن من رجمهن ، ويمسكن عن قولة السوء التى أرسلنها ، حتى يبدو طيف أبوللو :

— « ... أغربن أغربن ! آمركن ألا تبقين فى صومعتى ! هلا ! وإلا فستبيدكن نفثات الشيطان الذى يتحوى فى قومى ! الأرقم ! أتجهلنه ؟ أغربن يا سبب شقاء الناس ونافثات السم فى جراح البرايا ! لا تنتهكن هذا الحرم المقدس الأطهر بظلالكن البشعة ، النكراء ! أغربن من هنا ، وتبعثرن بالموت والأرزاء فى سبل الشباب الذى تذوين ، والحيوات التى تشتهين والأنفاس البريئة التى تحشرجن فى صدور الأطفال ... ! بحسبكن أنين الموتى ، وجؤار المثلى ، وسكرة الموت ؛ تحضض المفجوعين والمفئودين ! أغربن من هنا .... وليكن مأواكن فى مغارة ذئب أو كهف سبع يتوحش فريسته التى ما تزال تئن وتتوجع ... فصومعتى أطهر من أن تدنسها أدرانكن ! أغربن قلت لكن ، فما انفكت لعنة السماء عليكن وغضب الآلهة والناس أجمعين ! هما ... هما ... باهتاه ! »

(١) Fates الربات ثلاث كلوتو ولاخيز ، وأتروبوس اللائى يكتبن على الناس كل ما يقع لهم فى الحياة

— « أيها الالـه أبوللو ! إسمع الينا وعِ ! أنت لم تكن شريك هذا المجرم الذى حميت فى وزره فقط (حين قتل أمه) ولكنك كنت الآمر الموحى ؛ فعليك يقع الجرم كله ... »

— « وما برهانكن ؟ هراء ... هراء .... »

— « نبوءتك التى أوحيت بها .... تقضى أن يقتل الغلام أمه ! ! »

« لقد صرحت ، غير متردد ، لا بد أن يثأر الفتى لأبيه ! »

— « وها قد تقبلت الغلام ، وما انفك الدم يقطر من يديه ! »

— « لا .... ولكنى أمرته أن يستغفر لذنبه هنا ! »

— « ولكنه لم يأت ليستغفر ، بل أتى يلوم ويعنف ويهدل ... يعتب عليك ويهدلك يا حاميه ! ؟ »

— « وأنتن ؟ ماذا جاء بكن وأنتن غير جديرات بأن تقربن قدسى ! ! »

— وظيفتنا يا سيد الشمس ! هذا عملنا الذى ارتضينا يوم اقتسم الآلهة شؤون الحياتين ! »

— « ماذا ؟ عملكن ؟ وما عملكن يا ربات الذعر ؟ »

— « أن نقتص آثار قاتلة الآباء ونتفيهم من الأرض ! »

— وماذا تصنعن بمن يقتلن أزواجهن من النساء ؟ »

— « هذا دم لا يعنينا لأنه من دماء ذوى القربى ، فلا شأن لنا به ! ! »

— « بعدن عن الشرف والنبل اذن ، وعن العدالة كذلك ! ان ذلك ينافى القداسة الزوجية التى تقر بها حيرا لزوجها زيوس سيد الأرباب ، وينافى ما قضت به ربة الحب[1] من وجوب الوفاق والمحبة بين الزوجين ... إن العلاقة بين الزوج وزوجه أكبر من أن تكون قسما أقسماه ! فاذا حدث أن قتل أحدهما الآخر ولم يثر ثائركن لهذا القتل فمن يأخذ المجرم بجرمه ؟ وماذا تكون الحياة إذا لم يكن فيها قصاص ؟ ! إنكن إذن تطأدن أورست ظالمات ! ! فبينا تأخذن بالشدة والعنف مجرماً لا تقع عليه — فى الحق — جريرة ما صنع ، اذا أنتن تغضين عن مجرمين ضجت الدنيا بآثامهم وتلطخت الفضيلة بأوزارهم ، فما لكن كيف تقضين ؟ ! وليكن الأمر ما يكون ، فسيعرض الأمر كله على مترفا لترى فيه رأيها ! »

(١) لا ندرى أى ربة حب تعنى أسخيلوس ؟ فاذا كان يعنى فينوس فذلك يتعارض وحياتها المستقلة بالعشق ضد زوجها فلكان !!